مروة الذي لا يكل واليسار المحتضر

«يجب التمعن بعين العقل التي تخترق ظاهر
المسائل وتتعمق أبعد من الأوجه المتلونة للأحداث»
هيغل

جهاد شمص
كاتب (لبنان)

شهد قصر اليونيسكو، في سياق نشاطات «بيروت عاصمة الكتاب»وبرعاية وزارة الثقافة الاحتفال بنشر مؤلفٍ جديد بعنوان « نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي» للمفكر كريم مروة. وقد سبق الكتاب سلسلة من الأعمال والمقالات تعكس تطور أفكار المؤلف.

كريم مروة، ابن عائلة شيعية معروفة بالتقوى، لم يحقق أمنية والده المميز بالمرونة والانفتاح بأن يصبح عالماً دينياً كالعديد من أقربائه. لكنه أصبح بالأحرى مناضلاً لا بل،بعد فترة وجيزة، قائداً من الصف الأول في الحزب الشيوعي اللبناني. وقد عرض تلك المسيرة في كتاب « كريم مروة يتذكر: في ما يشبه السيرة» حيث حاوره صقر أبو فخر. كما كان قد نشر كتابين: «في البحث عن المستقبل» و «الشيوعيون الأربعة الكبار في تاريخ لبنان الحديث» اللذان يبدوان كتمهيد لكتابه الأخير.

يستوحي المؤلف من تجربته الطويلة كقائد شيوعي لبناني لمراجعة مسيرته بمنظار نقدي راهن مستبصراً في الوقت عينه الآفاق لتلمس درب يتيح «لليسار»، على اختلاف تلاوينه، الخروج من الطريق المسدود حيث يجد نفسه الآن.

التحدي الذي يواجهه كريم مروة أكثر تعقيداً من ذلك؛ فقد بذل أكثر من خمسين عاماً، ومعظمها في موقع قيادي، في قلب حركة شكّل انهيارها المروع خطراً حقيقياً على القيم ذاتها المفترض أنها المدافعة عنها: العدالة الاجتماعية، الاشتراكية،

إنعتاق المظلومين إلخ...

أثارت مقاربة ومنهجية مروة وستثير بالطبع ردود فعلٍ متنوعة. فالبعض من « رفاقه السابقين في النضال» لا يوافق إطلاقاً على هذا النوع من «الهرطقة». والبعض الآخر يرى أن الهزيمة تنحصر ببلدان المعسكر الشرقي وبحلفائه. ويبحث متفانون في معاداة الإمبريالية عن جينات ملائمة عند كل من يرفض «العولمة»الشيطانية مهما كان الدافع الحقيقي لتلك «الممانعة».

لكن البعض أيضاً يتسائل إذا ما كان بإمكان كريم مروة، بعد إنهيار المشروع الذي كرس له تلك الحقبة من حياته، أن يتقدم بإقتراحات صالحة وقابلة للتحقيق ليسار معاصر! بل أن البعض يناقش مبرر وجود يسار.

من الواضح أن كريم مروة يسعى للمساهمة في النقاشات، لابل وحتى في الجهود لإعادة صياغة وإطلاق تيار يساري أكثر تكيفاً مع متطلبات العصر، بمفهوم متحرر من كل دوغماتية، حيث لا تصبح «الثورة»بديلاً بذاتها عن الإرتقاء مما يولد هجائن مبهمة الملامح تلحق الضرر بالتطور الذي يشكل القوة المحركة للتاريخ.

إن مساهمة كريم مروة، ومثيلاتها بنوايا مشابهة، مفيدة بالضرورة. إن الشاغلين الحاليين للموقع الذي أخلاه اليسار السابق، والذين يطرحون أنفسهم كمالكين حقيقين استعادوا ما كان قد انتزع منهم بشكلٍ طارئ، يعيدون إنتاج نفس النوع من العدمية المدمرة التي أدت إلى سقوط حركات طرحت نفسها كمجسد ومحقق لأفكار العدالة والتقدم. ومن قبيل الصدف أن حرف الراء 'R' الفارق بين كلمتي «ثورة» و«إرتقاء» بالأجنبية «évolution-révolution» يطرح بعض الصعوبات على عدد من «المعادين الجدد» للإمبريالية.

مقال أرسل للنشر في الكتاب